كلية اللغات والآداب والفنون

الأستـــــاذة : نعيمة بويغرومني

شعبـــــة : الدراسات العربية

الفـــصـل : الثالث

الحصـــــة : النقد القديم

الأســـدوس :الخريفي

الموسم الجامعي: 2021/2020

النقد في صدر الإسلام

عناصر المحاضرة الثانية :

1- موقف الإسلام من الشعر

2- موقف النبي (ص) من الشعر

3- موقف الخلفاء الراشدين من الشعر

4 - تطور النقد العربي

1- موقف الإسلام من الشعر

يقصد بصدر الإسلام ، عصر الرسول والخلفاء الراشدين ، أو الفترة الزمنية التي بدأت بظهور الإسلام و انتهت بقيام الدولة الأموية على يد معاوية بن أبي سفيان سنة 41 هـ.

وبفعل الإسلام تغيرت قيم الأشياء والأخلاق في نظر العرب،فعلت قيم و انخفضت قيم أخرى ،ولما كان الأدب في عصر صدر الإسلام يتمثل في الشعر كأكبر منتوج أدبي في ذلك العصر ، فإننا سنحاول أن نتبين هنا أولا موقف الإسلام من الشعر ، وموقف الرسول من الشعر ثم موقف الخلفاء الراشدين من الشعر ، فكيف إذا كان موقف الإسلام من الشعر؟

لم يرفض الإسلام الشعر جملة و تفصيلا، بل اعتبره نشاطا إنسانيا، والحجة على ذلك اشتمال العديد من الآيات القرآنية الكريمة على ألفاظ الشعر والشعراء، منها :

﴿والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾ سورة الشعراء الآيات من 224 إلى 226

﴿وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ﴾ سورة الحاقة آية 41

﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له، إن هو إلا ذكر وقرآن مبين﴾سورة ياسين آية 69

﴿بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون ﴾سورة الأنبياء آية 5

﴿أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون﴾سورة الطور آية30

بل لقد دخل هذا الشعر المعركة بين أنصار الرسول (ص) و قريش، فهناك في صفوف قريش ينبري شعراء مكة والطائف، يحمسهم ويستحثهم قومهم بهجاء الرسول (ص) ورسالة الإسلام التي جاء بها، فيحاربونه باللسان كما تحاربهم قريش باللسان ،وهناك في صفوف المسلمين يقف شعراء المدينة ينتصرون للرسول ،ويجيبون المشركين عنه، بل ويوجعونهم بالشعر في غير فحش. وكان الرسول (ص) يرى لشعر أنصاره تأثيرا بالغا ومدميا على أعدائه، ومن أقواله فيهم :" هؤلاء النفر أشد على قريش من نضح النبال »انظر العمدة ج1 ص18

2 – موقف النبي ص من الشعر

بالنظر إلى ما وردنا من آرائه صلى الله عليه وسلم حول الشعر، نجد أن موقفه منه موقف واحد وهو موقف التأييد والقبول ،وأن مقياس استحسانه له،إنما هو بمقدار قربه من روح الإسلام أو بعده عنها، رغم أن الله تعالى نزهه عن الشعر، قال سبحانه: ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغي له﴾

وعليه، فالرسول إذ يذم الشعر في بعض أقواله : ك "لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا حتى يريه خير له من أن يمتلئ شعرا ""العمدة لابن رشيق ج1 ص18 لا يذمه على الإطلاق،و إنما يذم نوعا خاصا منه، وهو الذي يعادي روح الإسلام ، ويباعد بين العرب ، ويشتت كلمتهم ، ويذكي روح العصبية بكل ضروبها و آثامها.

ومن الشواهد على موقف تأييده صلي الله عليه وسلم ، نورد قوله لعمرو بن الأهتم عندما سأله في شعر الزبرقان بن بدر: " إن من البيان لسحرا وان من الشعر لحكما " أي أن الشعر يمكن أن يذهب بالعقل من فرط بيانه.

كما كان يقول لحسان بن ثابت :" اهجهم يا حسان فو الله لهجاؤك عليهم اشد من وقع السهام في غلس الظلام "العمدة ج1 ص18،وكذلك كان (ص) يحث الأنصار على هجاء قريش ،كما انه قال :"إنما الشعر كلام مؤلف فما و افق الحق فهو حسن وما لم يو افق الحق فلا خير فيه"

ومما حفظته لنا المصادر في هذا الإطار،استحسانه صلوات الله عليه لقول طرفة :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود

كما حفظت لنا (المصادر) استماعه لقصيدة كعب بن زهير بن أبي سلمى الذي اعتذر له فيها ومطلعها:

بانت سعاد فقلبي الله متبول متيم إثرها لم يفـــد مكبول

ولما بلغ كعب قوله: إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الهند مسلول

صحح له الرسول قوله هذا و جعله: إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

ونلمح من خلال هذا النقد النبوي ما انطوى عليه من تعديل وجه كعبا إليه ،حيث الرأي الصائب هو ان سيوف الله هي التي لا تقل،ولا تزيغ عن مواطن الحق، وما سواها من السيوف فهي تقل ، وهذا معنى إسلامي جميل ,

وحينما أنشده النابغة الجعدي:

خليليّ عُوجا ساعة وتهجَّرا ولُوما على ما أحدَث الدهر أو ذرا

يُعجب الرسول بهذا بالشعر، وحينما يبلغ قوله:

بلَغْنا السماءَ مجدُنا وجدودُنا و إنا لنرجو فوقَ ذلك مَظهرا

سأله (ص): إلى أين أبا ليلى؟ فقال : إلى الجنة، فقال(ص) - وقد اطمأن إلى أنه حين عبّر بمجد جدوده المتطاول قد انتهى الى التطلع في ظل الاسلام الى ما هو أعظم - فقال : "إن شاء الله

وفضلا عن هذه الملاحظات النقدية التي كان ميزان الحق هو الذي يوجهها ،كان رســـــــــول الله (ص) انطلاقا من مبدأ السلامة في التعبير والسلاسة في القول،والبعد عن التكلف والغلو والتشدق،يقول: "إن أبغضكم إليّ و أبعدكم مني مجالس يوم القيامة الثرثارون،المتشدقون المتفيهقون"

وهكذا يتضح من الأحكام النقدية التي وجهها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشعر والشعراء وفي المفاضلة بينهم وتقديم حسان بن ثابت عليهم جميعا – وهي كثيرة جدا -أنها أحكام اتسمت بالعموم والإيجاز، كإعجابه بقول لبيد، وطربه لشعر النابغة الجعدي، واستحسانه لبيان عمرو بن الأهتم، وتعديله للمعاني التي أتى بها كل من كعب بن زهير، كلها نقدات تعرب عن مفهوم الحبيب (ص) للشعر نسوق منها قوله : "إنما الشعر كلام مؤلف فما و افق الحق منه فهو حسن، وما لم يو افق الحق منه فلا خير فيه "العمدة ، كما تكشف عن الميزان الذي يرتضيه لتقديره ،

كما أنها أحكام اتسمت بالجزئية، فنقده صلى الله عليه وسلم كان متجها إلى اللفظ أو المعنى دون غيرهما من الجو انب النقدية الأخرى، فإعجابه بقول لبيد كان متجها للمعنى، فالمعنى عند لبيد جميل وشريف، وكذلك طربه لمعنى النابغة ،حينما جعل نهاية مطمحه الجنة.

واستحسان الرسول لبيان عمرو بن الأهتم في قوله عن الزبرقان بن بدر راجع إلى ما يحويه من رائع اللفظ وحسن البيان، وتعديله لشعر كعب بن زهير متجه إلى المعنى، حيث وجهه الرسول إلى ما ينبغي أن يكون عليه المعنى من تلاق مع الروح الإسلامية.

وعليه ، فالنقد على عصر الرسول (ص)استمر على ما كان عليه في الجاهلية ، وأن العرب لم يكفوا عن النظر في الشعر والمفاضلة بين الشعراء , وأن الجديد في هذا النقد يتمثل كما يقول د عبد العزيز العتيق في "عدول الرسول بالشعر عن طريقه الجاهلي بكل قيمه ،والاتجاه به اتجاها إسلاميا يكون مقياس الحكم فيه على العمل الأدبي بمقدار مطابقته أو عدم مطابقته للحق..."(تاريخ النقد الأدبي ص 54)

3_موقف الخلفاء الراشدين من الشعر

إذا ما خطونا بالنقد الأدبي إلى الأمام قليلا في عصر الخلفاء الراشدين ،نجد أن النقد قد حافظ على النهج الذي ارتضاه الرسول الكريم، وسنه في نظرته إلى الشعر، فقد كانت لأحاديثه صلوات الله عليه وملاحظاته النقدية النبوية تأثير على اهتمام خلفائه الراشدين بالشعر.

فأبو بكر الصديق تمثل بالشعر لإقناع الأنصار فذكر ابياتا لطفيل الغنوي ،كما روي عنه انه كان يفضل النابغة الذبياني ويقدمه على غيره من الشعراء، ويعلل حكمه بقوله:" كان أحسنهم شعرا واعذبهم بحرا و أبعدهم قعرا" (العمدة ج1ص 78)

وعثمان بن عفان كان معجبا بشعر زهير لما يتجلى فيه من الصدق ، روى الأغاني عن أبي زيد الكلابي : " أنشد عثمان بن عفان قول زهير: ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

فقال : أحسن زهير وصدق،لو أن رجلا دخل بيتا في جوف بيت لتحدث به الناس .قال : وقال النبي ص : لا تعمل عملا تكره أن يتحدث عنك به "(الأغاني ج 9 ص 312)

ولم يحذ علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في موقفه من الشعر والشعراء عن موقف عمر، فهو موقف متأثر بالإسلام وبكتابه الكريم و مستمد منه ، ومن أشهر النصوص الواردة عن الإمام علي والتي تنضح بالعديد من القيم والمعايير النقدية الجديدة المستمدة من نظرة الإسلام للشعر،ما حكي عنه أنه قال : لو أن الشعراء المتقدمين ضمهم زمان واحد ونصبت لهم راية فجروا معا علمنا من السابق منهم ، وإذا لم يكن فالذي لم يقل لرغبة ولا رهبة ،فقيل : ومن هو؟ فقال : الكندي . قيل : ولم ؟قال:لأني رأيته أحسنهم نادرة ,اسبقهم بادرة " العمدة ج 1 ص 27_ 28

فأساس الحكم عنده هو الموازنة بين الشعراء لمعرفة السابق منهم ، فإذا لم تتحقق الموازنة بين الشعراء على النحو المقترح، فالسابق منهم في نظره هو الذي لم يقل الشعر لرغبة او رهبة أي امرئ القيس الكندي ،وبقية أسباب حكمه أنه قال بوحي من مشاعر صدقه لا رهبة ولا رغبة،كما أنه فضل امرئ القيس على غيره من الشعراء كونه أولهم نادرة واسبقهم بادرة و انه لم يقله لرغبة ولا رهبـــــة.

أما الفاروق عمر بن الخطاب فقد لمع في مجال النقد الأدبي من بين كل الخلفاء الراشدين ، وكانت له

في هذا المجال لمحات نقدية ونظرات أدبية ذوقية، تدل على حاسته الفنية الدقيقة، وعلى مدى فهمه للبيان العربي على أحسن ما يكون عليه الفهم، ولعلّ ما يدل على ذلك خير دلالة آراؤه التي أعلنها في الشعر غير ما مرة ،

نسوق منها قوله :"أرووا من الشعر أعفه ، ومن الحديث أحسنه ، ومن النسب ما تواصلون عليه، وتعرفون بهن فرب رحم مجهولة قد عرفت فوصلت ، ومحاسن الشعر تدل على مكارم الأخلاق ، وتنهى عن مساويها" جمهرة أشعار العرب ص 36).وقوله : "نعم ما تعلمته العرب الأبيات من الشعر يقدمها الرجل أمام حاجته "العمدة ج1 ص 65

وكتب الادب والنقد تشع بصور لنقداته (ض)،والتي تدل على نظرة صادقة وفهم دقيق واع للأدب العربي،ومن نقداته الأدبية ما رواه أبو الفرج الأصفهاني عن ابن عباس:" خرجت مع عمر بن الخطاب (ض) في اول غزوة غزاها ،فقال لي أنشدني لشاعر الشعراء ،قلت :ومن هو يا أمير المؤمنين؟ قال: ابن أبي سلمى،قلت: وبم صار كذلك؟ قال: لأنه لا يتبع حُوشيّ الكلام، ولا يعاظل في المنطق، ولا يقول إلا ما يعرف، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه أليس هو الذي يقول:

إذا ابتدرت قيس بن عيلان غايةَ من المجد من يسبق إليها يسوَّد

سبقت إليها كل طلـــق مبرَّز سبوق إلى الغايات غير مزنّد

ولو كان حمدٌ يخلد الناس لم يمت ولكن حمد الناس ليس بمخْلِد

أنشدني له، فأنشدته حتى برق الفجر،فقال :حسبك الآن . اقرا القرآن. قلت: وما أقرأ ؟ قال :اقرا الو اقعة، فقرأتها ونزل فأذن وصلى "(الأغاني ج 10 ص 290 291_)

والنقد بهذا الخبر، فضلا عن كونه يخبرنا بمدى حب عمر للشعر، واستزادته من شعر زهير تحديدا حتى طلوع الفجر، يخبرنا أن النقد دخل على يد الفاروق عهدا جديدا لا عهد لنا به أي أن الأحكام النقدية التي سقناها والتي لم يسع المجال للإشارة أليها منذ العصر الجاهلي حتى الآن كانت أحكاما غير معللة ,أما في هذا الخبر فنحن إزاء حكم أدبي مفصل يقضي فيه عمر بأفضلية زهير على سائر الشعراء ، مع ذكر الأسباب الفنية التي بنى عليها حكمه,

لقد أثنى عمر على زهير بإجادته في اللفظ والمعنى معًا، فهو ليس شاعر لفظ فحسب، لا إن زهيرًا يعبر بأسلوب جمالي فني عن مضمون جيد،يوثر فيه الصدق و يأخذ بالحق فلا يقول الا بما يعرف ، بلا إفراط ولا مبالغة

وبكلمة، لقد أخذ عمر- في حكمه على زهير- بالمعيارين: الدّيني والفني، في حكمه على الشاعر. وهو ما يمثل التَّصور الإسلامي أدقَّ تمثيل.

ومثلما برزت ووضحت معايير عمر الدِّينية في استحسان القَول؛ وضحت أيضا في استهجانه ورفضه، فقد سمع مرة قول طرفة:

فَلَوْلا ثَلاثٌ هُنَّ مِنْ عِيشَةِ الفَتَى وَحَقِّكَ لَمْ أَحفِلْ مَتَى قَامَ عُوَّدِي

وثلاث طرفة التي فصلها بعد ذلك في شعره هي: الخمر، وإجابة المذعور المتلهِّف، والتَّمَتُّع بامرأة جميلة، ويستَهْجِن عمر هذه الثلاث، ويستبدل بها ما هو خير، يقول: "لولا أن أسير في سبيل الله، وأضع جبهتي لله، وأجالس أقوامًا ينتقون أطايب الحديث كما ينتقون أطايب الثمر، لم أُبالِ أن أكون قدْ متُّ"

وعلى هذه الجديلة انتصب الفاروق منتقدا للكثيرً منَ الأقوال، مَعنفا قائلها، بسبب اختلال الرؤية الإسلامية فيها....لقد حبس الحُطيئة لهجائه الزّبرقان بن بدروقوله له:

دَعِ المَكَارِمَ لا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا وَ اقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الكَاسِي

كما نَهَى عمر عن التَّشبيب بالنساء الأجنبيَّات، وقد قال للحطيئة عندما أطلق سراحه من السَّجن: "شبِّبْ بأهلك، وهدده إن شبَّب بنساء غيره قائلاً لمن حوله: "أشيروا عليَّ في الشاعر، فإنه يقول الهُجْر، وينسب بالحرم، ما أراني إلا قاطعًا لسانه"، وحَذَّرَ الشُّعراء من ذلك، وَتَقَدَّمَ إليهم بالوعيد ألا يشبب أحد بامرأة إلاَّ جلده.

من كل الذي تقدم ،فإذا ما استثنينا المساهمة التي أسهم بها عمر في سبيل تطور النقد الأدبي وفتح آفاق جديدة أمامه،فإن ما بقي بعد ذلك مما استجد من نقد في عصر الراشدين لا يختلف كثيرا عما كان عليه النقد في عصر الرسول والعصر الجاهلي .